الثقافي والفكري في دول الجزيرة والخليج من خلال إقامة العديد من مراكز الدراسات والبحوث التي تهدف إلى إعداد الدراسات المختلفة عن اليمن ودول الخليج بمختلف المجالات، وكذلك تخصيص وسائل الإعلام المختلفة جزءاً كبيرا من محتوياتها لتوثيق العلاقات بين اليمن والخليج بل، وتصدر مجلات علمية متخصصة بدراسات الجزيرة العربية والخليج، وإقامة الأسابيع الثقافية المشركة.

مقدمة

العلاقات الثقافية بين اليمن ودول الخليج العربي لها جذور وأبعاد تاريخية ضاربة القدم تعود إلى بداية نشأة الحياة البشرية على وجه الأرض؛ فدول الخليج العربي واليمن تقع في شبه الجزيرة العربية التي تضم الان سبع دول هي: الجمهورية اليمنية، المملكة العربية السعودية، سلطنة عمان، دولة الإمارات العربية المتحدة، دولة قطر، مملكة البحرين، دولة الكويت.

ومنطقة شبه الجزيرة العربية تتميز بموقع جغرافي مؤثر وهام، إذ تقع في الركن الجنوبي الغربي من القارة الاسيوية بين درجتي ١٢ و ٣٢ درجة من خطوط العرض، ودرجتي ٣٥ و٦٠ درجة من خطوط الطول وهي بذلك تقع في وسط الكرة الأرضية، ويحدها البحر الأحمر من جهة الغرب، ومن ناحية الشرق خليج عمان والخليج العربي، ويحدها من الجنوب خليج عدن والمحيط الهندي، أما من الشمال فيحدها خط يمر بحدود العراق وسوريا وفلسطين وشبه جزيرة سيناء التي عدّها بعض المؤرخين أمثال (بليني) جزءاً من بلاد العرب،[١] بل ذهب بعضٌ من الباحثين إلى أن الجزيرة العربية كانت متصلة بأفريقية، وأن البحر الأحمر كان أرضًا يابسة، ولكن التصدع الذي حدث في الزمن الجيولوجي الثالث أدى إلى تكوين البحر الأحمر، فانفصلت الجزيرة العربية عن أفريقية. وبعضهم يرى أن البحر الأحمر كان في الأصل بحيرة، ولكن حدوث تصدع في البحر أدى إلى التقاء البحر العربي بالبحيرة عند باب المندبَّ فكون البحر الأحمر وأدى إلى انفصال أرض العرب عن أفريقية.[٢]

وقد دأب الجغرافيون اليونانيون والرومانيون القدامى على تقسيم الجزيرة العربية إلى ثلاثة أقاليم: الإقليم الأول اليمن، أما الإقليم الثاني فهو الحجاز، والإقليم الثالث يمتد من شمال شرق العربية السعيدة (اليمن) حتى نهر الفرات.[٣] بينما عمد فريق آخر من الجغرافيين إلى تقسيمها إلى خمسة أقاليم هي اليمن والحجاز ونجد وتهامة واليمامة.[٤] وهذا يؤكد أن اليمن والحجاز ونجد منطقة جغرافية واحدة وإن كانت تختلف في تضاريسها من إقليم إلى آخر، وقد أدت هذه التضاريس دورًا كبيرًا في المسار التاريخي لسكانها، وعكست أهميتها التي تتميز بها، والتي تنبع من كونها تسيطر على الشريان الرئيس للتجارة العالمية قديمًا وحديثًا لتوسطها الكرة الأرضية وإطلالها على البحر الأحمر والبحر العربي والخليج العربي.

ولا تقتصر أهميتها على ذلك؛ بل إنها تحظى أيضًا بمكانة دينية وقومية عند العرب والمسلمين لكونها الموطن الأم لكل العرب، ولأنها مهد رسالة الإسلام الخالدة؛[٥] كل ذلك جعلها محور اهتمام القوى الكبرى في العالم التي حاولت السيطرة عليها قديمًا وحديثًا، ولكن هذه المنطقة استطاعت أن تحظى بقدر كبير من الاستقلال لعدم قدرة تلك القوى على السيطرة عليها، إلى جانب تميزها بوجود الروابط العميقة بين مناطقها في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية منذ بدء التاريخ إلى وقتنا هذا. وهذا الترابط والتشابك بين أجزائها وبين أجزاء الوطن العربي عامة جعلها تؤدي دورًا كبيرًا في حركة التاريخ العربي عامة.

وسوف يتناول البحث مسيرة العلاقات الثقافية المشتركة بين اليمن ودول الخليج العربي بغرض إبراز القواسم المشتركة والجوانب المشرقة التي تخللت تلك العلاقات وتوظيفها واستثمارها في تعزيز وتقوية الروابط السياسية والثقافية والاجتماعية بين أبناء الجزيرة العربية وذلك لمستقبل واعد تسوده روح الوئام والتعاون بينهما.

إن الروابط التي تجمع اليمن بجيرانها في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية أكثر من أن تعد، ولكن سنلقي الضوء على بعضها والتي تؤكد على وجود الترابط والتلاحم بين جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية:

١١ -

إن شبه الجزيرة العربية قطعة واحدة أو إقليم جغرافي واحد، لا تفصل بين أجزائه موانع طبيعية؛ فلا انهار فاصلة ولا بحار حاجزة، ولا جبال ثلجية صادة، ولا توجد صحراء تفصل جزءًا عن بقية الأجزاء، ما جعل التواصل بين مدنها يتم عبر سلسلة الجبال من نجد أو من جبال حضرموت وعمان، حتى صحراء النفوذ لا تشكل عائقًا لأنها في الطرف الشمالي.

ويتوزع التكوين الجغرافي للجزيرة العربية إلى جبال وهضاب وصحاري وسهول ساحلية. فسلاسلها الجبلية الممتدة من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب طبيعة جبلية واحدة يتفرع من هذه السلسلة فرع في الوسط وهي المنطقة المعروفة بنجد حتى تطل هضابه على الخليج، وفرع في الجنوب يبدأ من جزء السلسلة الجنوبية ويمتد مطلاً على البحر العربي من جهة والربع الخالي من جهة أخرى حتى يتصل بجبال عمان،[٦] فهذه الجبال ليست جبلاً واحدًا وإنما هي جبال متصلة على نسق واحد، يبدأ من عدن وينتهي في الشام،[٧] وهي طبيعة جبلية واحدة وإن اختلفت بعض مظاهرها. أما صحاربها فتتمثل في صحراء الربع الخالي في الجنوب الشرقي وصحراء النفوذ في الشمال وصحراء الدهناء في الشمال الشرقي.

أما سهولها الساحلية المطلة على البحار فتمتد من العقبة شمالاً حتى عدن جنوبًا. ثم يتحول شرقًا حتى مضيق هرمز، ويمتد شمالاً من ناحية الشرق حتى يصل إلى أعلى خليج البصرة. أما مناخها فيتميز في مناطق الجبال بالاعتدال في الصيف والشتاء، تهطل عليها الأمطار في الجنوب صيفًا وفي الشمال شتاءً وبارد نسبيًا، وهو حار في مناطق الصحارى والسهول الساحلية صيفًا ويميل إلى الاعتدال في فصل الشتاء.[٨] وفي الواقع إن المناخ والتضاريس كانت من

العوامل الطبيعية المؤثرة في التطور السياسى لدول الجزيرة العربية، وإن كان من الصعب تحديد دوره بمفرده، ذلك لأن المؤثرات المناخية لا يمكن فصلها عن بقية العوامل الطبيعية والحضارية الأخرى.[٩]

مما لا شك فيه؛ أن موقع الجزيرة العربية الجغرافي وتنوعه الطبيعي بين الجبل والسهل قد أدىّ دورًا مؤثرًا ومهمًا في النشاط السياسى والاجتماعي والاقتصادي للمنطقة على مرّ التاريخ. وقد حددت الظروف الطبيعية التركيب السياسى لدولها، وكذا عوامل القوة أو الضعف في البناء السياسى لها، وعلى سبيل المثال فإن الظروف الطبيعية في التى ساعدت على أن تصبح مرتفعات اليمن مركزًا للاستقرار البشري المرتبط بنظام زراعي شامل لا يوجد له مثيل في بقية أنحاء شبه الجزيرة العربية.[١٠] وقد أسهمت الظروف الطبيعية لليمن في خلق أجواءّ التوحد من خلال الاستفادة من هذا التنوع في التكامل بين السهل والجبل، والاستفادة من فرص الإنتاج المختلفةً وأحيانا أخرى إلى التفرق من خلال التمسك بالانعزال، وتقليل فرص الاختلاط بين السكان في مراحل مختلفة من التاريخ. ١ ٢ -

كَتب كثير من علماء الأنساب والتاريخ عن أصل العرب، وقد كثرت الأقوال وتضاربت الاراء بين القديم والحديث فالاعتماد عند المتقدمين على الكتب المدونة، وعند بعض العصرين على الاثار القديمة التى نقب عنها في جوف الأرض. وحيث أن أمر التنقيب عقيم في جزيرة العرب وبالأخص لم يجر حتى اليوم في الربع الخالي مع صحراء الأحقاف، فأصبح الاعتماد فيما يتعلق بشؤون العرب حتمًا على الكتب المدونة لأنه لم يكن أمامنا ما ينفي صحتها، غير أن كتب التاريخ والأنساب المتعلقة بأصل العرب وتقسيمهم أجمعت على أن أصل العرب من اليمن؛ إذ لا توجد قوميات داخل جزيرة العرب، ولا أعراق مختلفة، ولا جنسيات متباينة، وإنما هم من أرومة واحدة، ومن عرق واحد، وفصيل بشري واحد متقارب.

كما اتفق الباحثون على أن شبه الجزيرة العربية هي: موطن أقدم حضارة للجنس البشري، فمنذ أقدم الأزمنة التاريخية المعروفة كانت هذه الجزيرة مأهولة بجماعات بشرية متشابهة في الملامح والطبائع. يري الباحثون: أن أسلاف هذه الجماعات.. كانوا يتمتعون بحضارة قديمة في الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة العربية وكانت اليمن عامرة بأنهارها الدائمة الجريان وبأمطارها الغزيرة الدائمة السقوط، إلا أنها تعرضت إلى تغيرات مناخية في نهاية العصر الجليدي الأخير في حدود ٣٠.٠٠٠ ثلاثين ألف سنة قبل الميلاد الأمر الذي أدى إلى انحباس الأمطار واندثار الأنهار، فأخذ الجفاف ينتشر منذ ذلك الحين في النطاق الصحراوي الحالي مما اضطر الناس إلى الهجرة من اليمن- موطن الجنس العربي الأول- إلى أماكن ذات موارد مائية دائمة فكان أن توجه قسم منهم إلى شمال الجزيرة العربية، ومنها اخذوا يتوزعون إلى الأطراف، وإلى ما وراء تلك الأطراف، فمنهم مَن توجه شرقًا نحو بلاد الرافدين، ومنهم مَن استقر في فلسطن وفي سوريا ولبنان والأردن، ومنهم مَن توجه غربًا نحو طور سينا وحتى أطراف وادي النيل في مصر، والسودان، وشمال أفريقيا المغرب، وتونس، والجزائر، وليبيا، وموريتانيا.

إذا؛ فاليمن منبع الحراك السكاني داخل الجزيرة فقد خرجت القبائل القحطانية من اليمن واستقرت في ربوع جزيرة العرب، منهم قضاعة في شمال الحجاز تجاورهم تنوخ في أقصى شمال الجزيرة داخلاً في الشام وترافقهم قبائل كلب، وفي وديان شمال الحجاز استقرت جهينة. واستقرت قبيلة طيء الأزدية في جبل شمر ونجد، وقبيلة جذام سكنت مع لخم في أطراف الشام وحدود شمال الجزيرة، ومن قبيلة الأزد استقر في عمان، وفي قلب جزيرة العرب الذين عرفوا بالأوس والخزرج ومن الأزد أيضًا قبيلة خزاعة الذين سكنوا مكة وبعض الحجاز وتحكموا بمقاليد مكة لمدة من الزمان، وقبلهم كانت قبيلة جرهم القحطانية التى ناسبهم إسماعيل ونشأ منهم الفرع العدناني،[١١] ومن قضاعة كانت تنوخ ودوس وقد سكنوا البحرين، وقبائل نجد اليوم بصورة عامة أغلبهم من القبائل القحطانية.[١٢] وفي تهامة اليمن وتهامة السراة العديد من الفروع القبيلة المضرية العدنانية،[١٣] وانتقلت فروع من ثقيف والعلويين إلى شمال اليمن واستقروا في صعدة.[١٤]

ولا نكون مغالين إن قلنا بأن القبائل اليمنية تغطي سائر الجزيرة العربية إلى جوار القبائل الأخرى من مضر وربيعة، ولم تنشأ مشكلة عرقية داخل جزيرة العرب،[١٥] ولم تكن هناك أية غضاضة في هذه السكنى، وبالجملة فقد صار الحراك السكاني على بساط الجزيرة المتنوع الألوان أمرًا طبيعيًا وليس غريبًا. بل يشكل نسيجًا متجانسًا دون فوارق، وما دار من صراعات بين فروع القبائل فهو صراع مصالح لا صراع قوميات، فحيثما طغت مصلحة قبيلة على مصلحة قبيلة أخرى نشأ الصراع، وتتمثل المصالح إما بالنزاع حول أرض، أو حول ثأر بين قبيلتن، أو نزاع سلطوي، وكثيرًا ما كانت هذه النزاعات تسوى كلما وجدت قيادات حكيمة، تعمل على رأب الصدع، وتخمد نار الصراع.

١ ٣ -

كانت ديانة العرب في غابر الأجيال مختلفة؛ فمنهم مَن كان يعبد الشمس، ومنهم مَن يعبد القمر، ومنهم مَن كان يعبد الأوثان وجميع عبدة الأوثان من العرب كانوا يقرنونا لله تعالى بالربوبية، وإنما كانت عبادتهم ضربًا من التدين بدين الصائبة في تعظيم الكواكب والأصنام، الممثلة لها في الهياكل، لا على ما يعتقده بعض الجهال بديانات الأمم، وآراء الفرق، من العرب، كانت تعتقد في الأوثان أنها الإله الخالق للعالم، بل ذلك لا يتصوره عاقل، وقد قال تعالى حكاية عنهم: "مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرِّبُونَا إِلىً اللهِ زُلْفَى".[١٦] وإنما كانوا ينكرون البعث والنشور والمعاد والجزاء في اليوم الاخر، ويرون أن العالم لا يخرب ولا يفنى.[١٧] وعلى الرغم من أنهم كانوا قبل الإسلام مختلفي التوجهات الاعتيادية ولهم أصنام وأوثان عديدة، فإنهم كانوا يجتمعون في مكان واحد وهو مكة المكرمة فيمارسون مناسك واحدة، وإن اختلفت بعض التفاصيل، فغالبيتهم وثنيون ومع هذا يتوجهون إلى الكعبة جميعهم.

وعندما جاء الإسلام ليكون برنامجًا ومنهجًا جديدًا للبشرية كلها، فإن ومن الصعب حصر الاثار الكثيرة التى خلّفها الإسلام على حياة العرب بسبب شموليتها لمختلف أوجه الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية والفكرية. فقد أزال الإسلام الفوضى والجهالة الدينية التى عمت العرب من خلال تعدد عبادة الأصنام والأوثان، وأبدلها بعبادة الله الواحد الأحد. وبذلك أدت وحدة العبادة والدين إلى تماسك العرب وتقاربهم وضعف عوامل الفرقة

والاختلاف بعد أن جمعهم عامل مشترك. وأدى التخلص من عبادة الأصنام أيضًا إلى انطلاق أفق الإنسان العربي الذي كان محددًا بالوثنية إلى مجالات واسعة قدّمها له الإسلام، ووفّر له الطمأنينة والأجواء الروحية ففتح هذا الأمر المجال واسعًا أمام التطور الفكري الكبير الذيّ جسدته الحضارة العربية الإسلامية.

كذلك أرس الإسلامً قيما اجتماعية جديدة ومبادئ خلقية فاضلة، فعلى الرغم من تمتع العرب قبل الإسلام بالكثير من القيم الأخلاقية السامية ولكن شابتها بعض الممارسات والأنماط السلوكية الخاطئة فجاء الإسلام ليقضى عليها مثل وأد البنات والعصبية القبلية والثأر وغيرها. وقد أكد الإسلام على مبادئ الحرية والمساواة بين الأفراد في الحقوق والواجبات والمكانة الاجتماعية، وأحل الأخوة الإسلامية محل النسب للقبيلة، والولاء للإسلام محل الولاء للقبيلة، والشريعة الإسلامية العادلة محل الأعراف القبلية. ومنح الإسلام المرأة حقوقًا واسعة وحرّم إلحاق الأذى بها، وأوجب عليها التعليم، وأمر بحسن معاملتها.

ونقل الإسلام اللغة والخط العربي من الصعيد المحلي، الذي كان يقتصر على شبه الجزيرة العربية وأطرافها، إلى لغة عالمية لأكثر من نصف العالم المعروف آنذاك، فقراءة القرآن الكريم وفهم أحكامه يتطلب بلا ريب اتقان اللغة التى نزل بها، فدفع هذا الأمر المسلمين من غير العرب إلى تعلم اللغة العربية لفهم واجباتهم الدينية. وصارت جزيرة العرب أرضًا إسلامية لا يشاركهم فيها أحد من غير المسلمين لا في قبلتهم ولا في حجهم. وقام العرب جميعهم بنشر الإسلام فقد قاد العرب بإسلامهم حركة الفتوحات الإسلامية، وصار الإسلام معروضًا أمام الناس جميعًا بصفته الدين الذي ارتضاه الله للبشر. فمن شاء أن يختاره، ومن شاء أن يتركه في ظل وضع يتصف بالحرية الكاملة الحقيقية.

وحينما انساح المسلمون العرب من جزيرة العرب إلى البلاد المفتوحة صارت جزيرة العرب مهوى أفئدة كل من أسلم من الأمصار المختلفة، واحتفظ المسلمون للعرب بمكانة معينة لدورهم المشهود في قيام الإسلام وانتشاره. وهكذا صارت جزيرة العرب منطقة إشعاع للفكر الإسلامي إلى جميع بقاع الأرض التى دخلها الإسلام، وصار اليماني والعماني والحجازي والبحراني والنجدي والثقفي والتميمى والأزدي والنراري، مع غيرهم من الأجناس غير العربية، يعملون فريقًا واحدًا للعيش بهذا الفكر الجديد، ونشره في ربوع الأرض، فأعطى هذا التوجه لجزيرة العرب مكانة مرموقة غير بقاع الأرض كلها.

لغة التخاطب عند كل ساكنى الجزيرة واحدة هي اللغة العربية، فمن أطرافها الشمالية إلى أقاصها الجنوبية، ومن جزرها الشرقية إلى جزرها الغربية، وفي كهوفها الجبلية ووديانها الزراعية وصحاريها القاحلة. الجميع يتكلم لغة واحدة تكتب بحروب واحدة، وإن تعددت لهجات المنطقة الواحدة، فإن لغة الثقافة واحدة، واللهجات وإن تعددت فإن أصولها عربية ولا تعد لغة أخرى، وليس في مقدور الباحث اليوم أن يكشف عن أطوار النشأة الأولى للغة العربية؛ لأن التاريخ لم يسايرها إلا وهي في وفترة الشباب والنماء. والنصوص الحجرية التى أخرجت من بطون الجزيرة لا تزال لندرتها قليلة الغناء؛ وحدوث هذه الأطوار التى أتت على اللغةَ فوحدت لهجاتها وهذبت كلماتها معلوم بأدلة العقل والنقل، ولغات العرب على تعددها واختلافها إنما ترجع إلى لغتين أصليتين: لغة الشمال ولغة الجنوب. وبين اللغتين بون بعيد في الإعراب والضمائر وأحوال الاشتقاق والتصريف، يقول الهمدان:[١٨] "وتسمى جزيرة العرب لأن اللسان العربي في كلها شائع وإن تفاضل". وقد وصف لنا الهمداني[١٩] لهجات جزيرة العرب بدءًا من مهرة في حضرموت إلى الشام ورغم أنها سماها لغات فإنه لا يعنى لغة مفردة وإنما لهجة في النطق فقط، والاختلاف في اللهجات لا يعنى فقط الاختلاف في الأصول اللغوية بحيث يصبح لكل إقليم لغة. ولا يقصد الهمداني ولا علماء اللغة بقولهم (لغة) بأنها لغة بالمفهوم المعروف اليوم، وإنما يقصد به اللهجة.

ولا يشك أغلبية المتخصصين في أنّ هؤلاء الأقوام كانت لغتهم العادية لغة عربية فصيحة، وإذا أردنا الدقة والتفصيل قلنا: إنهم كانوا يتكلمون مجموعة من "اللهجات – كانوا يسمونها لغات –" كانت شديدة القرابة إلى بعضها البعض وإلى ما نسميه اليوم العربية الفصحى. ومما يقوّي هذا الاعتقاد نزول القرآن الكريم بلغتهم التى يعرفونها ويفقهونها تمامًا، بحيث لا يمكنهم أن ينكروا أنهم تلقوا الرسالة وأدركوا لفظها ومعناها. واللسان الذي صيغ به النصّ القرآني

هو {لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مبِينٌ}، ويقول سبحانه وتعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مبِينٌ}.[٢٠] وبالتالي فلا يمكن التشكيك في أنّ عرب قلب الجزيرة، كانوا يتكلمون في عهد صدر الإسلام "لغات" قريبة جدًا – إن لم نقل مماثلة تمامًا – لما نسميه اليوم العربية الفصحى.

وكان للقرآن دور أساسي تقعيد اللغة العربية، وكان هذا الدور متعدد الجوانب، فتدوين النص القرآني بخط واضح بحيث لا يدع مجالاً للالتباس والخلاف قد أدى إلى إصلاح الكتابة العربية، وبدءًا من نقط الإعجام للتفريق بين الحروف ذات الرسم المشترك ونقط الإعراب وبالرموز الدالة على الحركات والتشديد وما إلى ذلك، إلى أن تحولت تدريجيًا عن طريق التعمق والتخصص إلى كتب نحو متكاملة وكتب لغة وقواميس، كما أدت كذلك إلى تدوين الشعر القديم نظرًا لأهميته لشرح مفردات القرآن. كما كان للعناية بقراءة القرآن قراءة صحيحة مما أدى إلى وضع أسس العلوم الصوتية والصرفية. وفي مرحلة لاحقة وفي إطار الاهتمام المتزايد بظاهرة الإعجاز القرآني ظهرت العلوم البلاغية.

ولهذا نجد الموروث الثقافي لجزيرة العرب كتب بلغة واحدة أو لسان واحد، ولم يكتب بلغات متعددة وصار هو رصيد الأمة كلها، يرجع إليه كل مَن يريد أن يدرس جانبًا من حياة الجزيرة. يقول صالح أحمد العلي: "إن هذه اللغة التى تتم عن لغة الأعاجم، كانت منذ الزمن السابق للإسلام مثبتةً في الأسس، واضحة في المعالم، وبها نزل القرآن الكريم وأشاد بخصائصها وأكّد أنها إحدى الركائز الأساسية التى يقوم عليها لتأمين قبول العرب الدعوة الإسلامية.

كانت هذه اللغة السليمةً عامة في شبه جزيرة العرب، وبها نظم الشعراء أشعارهم وقصائدهم، وكانوا من مختلف أرجاء الجزيرة.

فأصحاب المعلقات، وهم القمم من شعراء ما قبل الإسلام، كان منهم من هم من أواسط نجد (امرؤ القيس، وزهر بن أبي سلمى، والنابغة الذبياني وعنترة العبسى)، ومن هم من شريفِ الجزيرة(طرفة بن العبد، والحارث بن حلزة)، بالإضافة إلى أعداد كبيرة من شعراء ما قبل الإسلام وصدر الإسلام ممن لهم انتماءات عشائرية متعددة مساكنها في أرجاء الجزيرة كافةً. وإن الشعراء الذين ظهروا في الحيرة، والترحاب الذي لقيه الشعراء في بلاط المناذرة والغساسنة لدليلٌ قاطع على امتداد استعمال هذه اللغة عند أهل
الحيرة في العراق، وأهل جِلق في الشام".[٢١]

- ٥ ١

كان للعرب أسواق في الجاهلية، يقيمونها في شهور السنة، وينتقلون من بعضها إلى بعض، ويحضرها قبائل العرب، من بعد منهم ومن قرب، فكانوا ينزلون دومة الجندل المسمى اليوم بالجوف، وهو واقع شمال الجزيرة قريب من الشام أول يوم من ربيع الأول، فيقيمون بالبيع والشراء والأخذ والعطاء، ويقوم بعشائهم رؤساء آل بدر في دومة الجندل، وإذا غلب على السوق بنو كلب، يقوم بعض رؤساء كلب بعشائهم، فتقوم أسواقهم إلى آخر الشهر، ثم ينتقلون إلى سوق حجة وهو المشهور في ربيع الاخر فتقوم أسوقهم بها، وكان يقوم بطعامهم المنذر بن سلوى، أحد بنى عبد الله بن دارم، ثم يرتحلون نحو عمان، بالبحرين فتقوم سوقهم بها، ثم يرتحلون فينزلون إرم وقرى الشحر فتقوم أسواقهم بها أيامًا، ثم يرتحلون فينزلون (عدن) من اليمن، فيشترون منها "اللطائم" وهي الأقمشة، وأنواع الطيب، ثم يرتحلون فينزلون الرابية من حضرموت، ومنهم من يجوزها إلى صنعاء، ثم تقوم أسواقهم ا ويجلبون منها الخرز والأدم والبرد، وكانت تجلب إليها من معافر، ثم يرتحلون إلى عكاظ في أول شهر شوال، فتقوم أسواقهم بعكاظ. ويتناشدون الأشعار، ويتحاجون، مَن له أسر سعى في فدائه، ومن له حكومة ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة، وكان الذي يقوم بأمر الحكومة فيها من بنى تميم، وكان أحدهم الأقرع بن حابس، ثم ينتقلون منها في نهاية شهر شوال، فينزلون مر الظهران، وهو (وادي فاطمة) في أول ذي القعدة، فتقوم أسواقهم فيه طيلة الشهر؛ وهذا الوادي واقع في شمال مكة ويبعد عنها ٢٥ ميلاً إلى ٣٠ ميلاً ، وهو وادٍ خصب كان به في الأزمان السالفة نحو ثلاثمائة عين ماء فلعدم وجود الأيدي العاملة، دمرت فلم يبق منها الان سوى أربع وأربعين عن ماء بخيوفها.

وهذه الخيوف تبتدئ من علو الوادي شرقًا من الزيمة، وتنتهى غربًا بحداء وكثيرًا ما يوجد بهذا الوادي أدبلة العيون المدمرة، وممكن تعميرها، إنما تحتاج إلى المال والأيدي العاملة و ويبلغ طول وادي مر الظهران، من الشرق إلى الغرب نحو خمسين ميلاً ، ثم يرتحلون إلى الحج، والوقوف بعرفة، فإذا قضوا مناسكهم نزلوا مكة للطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، فكانت قريش تقم بضيافتهم بمكة حتى يرتحلوا. وكان سوق عكاظ بمثابة المؤتمر العام، والمعرض العام، لعموم قبائل العرب قاطبة، فكان يجتمع فيه فحول الشعراء والخطباء والملوك والأمراء. وكانت تجري بينهم مسابقة في الشعر، والخطابة، والشجاعة، وغير ذلك.

كما كان العرب في الجاهلية على أخلاق عظيمة، لا توجد في غيرهم من الأمم المعاصرة لهم، فمن خصالهم: الشجاعة، والعفة، والشهامة، والنجدة، والحمية، وعلو الهمة، وحفظ العهد، والوفاء بالوعد، والمحافظة على الأعراض، والمدافعة عن الجار، وحفظ الجوار، والكرم والسخاء، والضيافة لكل وافد عرفوه أم لم يعرفوه.

وكانوا مثل الحرية في أقوالهم وأعمالهم وعاداتهم من غير تكلف، لأنها سجية فيهم. ويتفاخرون بشدة البأس، وعزة النفس، وإباء الضيم، والحلم، والفصاحة، وحفظ الشرف، ومكارم الأخلاق، وسرعة الخاطر بالبديهيات وغير ذلك، مما امتازت به العرب على غيرها من الأمم، والتاريخ شاهد على ذلك.

- ٦ ١

من خلال ما سبق اتضح لنا؛ أن اليمن ودول مجلس التعاون الخليجي الست تنتمى إلى منطقة جغرافية واحدة، خالية من الموانع والحواجز الطبيعية، ويجمع سكانها نسب واحد ولغة واحدة وديانة واحدة وعادات مشتركة. كل هذا شكل مزيجًا إنسانيًا متجانسًا ممتدًا على رقعة الجزيرة العربية، فتشابكت أصوله الأسرية والقبائلية والعشائرية وانضوت أجزاؤه في إطار دولة واحدة في فترات مختلفة من التاريخ قبل الإسلام وبعده. فقد عمل العرب جميعهم على نشر الإسلام فيما يعرف بحركة الفتوحات الإسلامية. فأصبحت جزيرة العرب منطقة إشعاع للفكر الإسلامي إلى جميع بقاع الأرض التى دخلها الإسلام فأعطى هذا التوجه لجزيرة العرب مكانة مرموقة غير بقاع الأرض كلها. وصارت جزيرة العرب مهوى أفئدة كل من أسلم من الأمصار المختلفة، واحتفظ المسلمون للعرب بمكانة معينة لدورهم المشهود في قيام الإسلام وانتشاره.

يقول الدكتور يوسف مكي: "كان العرب قد اتجهوا إلى التخوم الشمالية من الجزيرة العربية منذ تاريخ بعيد قبل ظهور الإسلام، ووصلوا في موجات متعاقبة إلى العراق وبلاد الشام ووادي النيل قبل استهلال الفتح العربي. وحين بدأ الفتح سهّل ذلك الوجود على المسلمين ولوج تلك الأقطار وجعلها جزءًا من الحواضر العربية. وقد سجّل لنا التاريخ تعاطف السكان المحليين في الشام والعراق ومصر مع الفاتحين الجدد، ومشاركتهم لهم في القتال ضد البيزنطيين والساسانين والروم.

وتؤكد قراءة التاريخ العربي الإسلامي أنه حين انطلقت جيوش المسلمين من يثرب إلى عموم مناطق الجزيرة العربية، كانت على علم بتضاريسها، ومعرفة بطرقها، بل كانوا على معرفة بقبائل الجزيرة وعشائرها وأنسابها ورموزها الاجتماعية. ومن المؤكد أن تحقيق تلك الغزوات والحروب وتكللها بالانتصارات في تلك الظروف كان عملاً أقرب إلى المستحيل لو كانت هناك قطيعة في الثقافة والمكان.[٢٢] هذا النضال المشترك عبر التاريخّ كون الشخصية العربية بمتانة، وتخطى مرحلة الانسجام إلى مرحلة الانصهار، بل حتى معظم الأحداث التاريخية التى دارت في جزيرة العرب أحداث متشابهة سواء كانت أحداثًا ايجابية أم سلبية. فعلى سبيل المثال ما نلمسه من تشابه حتى بظهور حركات غير مرغوب فيها فالأحداث التى أعقبت وفاة رسول الله والتى عرفت بالردة كان لها

صدى بل وجود في كل من اليمن، ونجد، وعمان، والحجاز.[٢٣] فقد تمالئوا على نهج واحد وهو التجمع تحت ألوية زعامات ادعت لنفسها قيادة دينية تمثلت في ادعاء النبوة.

وفي العهد الأموي، ظهرت حركات الخوارج وكانت لها زعامات متمركزة في كل من اليمن ونجد وعمان. وفي العهد العباسى، ظهرت حركات شيعية مغالبة وكانت لها أيضًا تمركزات في كل من اليمن، وعمان، ونجد، وشرق وشمال شرق الحجاز.[٢٤] وفي العصر الحديث برزت محاولات فرض السيطرة الاستعمارية الأوربية (البرتغالية، الفرنسية، والبريطانية) وموقع تجاذب بين القوى الإقليمية المختلفة (العثمانيين والصفويين). وفي الفترة المعاصرة الوجود الغربي الأوربي الأمريكي في المنطقة ومحاولات فرض الهيمنة على الجزيرة العربية للسيطرة على الثروة النفطية في الخليج، وما تشهده المنطقة من حوادث ومتغرات تنعكس على الجميع وتتأثر بها كل الدول أنظمة حاكمة وشعوبا.

إن كل ما ذكرناه سابقًا يجعلنا نؤكد على أن الروابط التى تجمع اليمن بجيرانها في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية أكثر من أن تعد، ليس في الوقت الحاضر فقط؛ وإنما منذ آلاف السنين، حيث كانت المنطقة وإلى عهد قريب تسمى بشبه الجزيرة العربية بمكوناته المختلفة، وإلى جانب الترابط الطبيعي والجغرافي كانت هناك روابط النسب، والدين، واللغة، والعادات، والتقاليد المشتركة، والتاريخ المشترك، والتى بدورها تجعل من اليمن ومحيطها الخليجي وحدة ثقافية واجتماعية واحدة.

إن الروابط التى جمعت اليمن ودول الخليج منذ قديم الزمان كانت أساسًا لتواصل ثقافي دائم بين جميع أبناء الجزيرة. فقد وجدت نقوش مسندية تعود إلى فترة قبل الميلاد وبعدها، وكذلك الحج، وبظهور الإسلام تزايدت أهمية الحج ومازال حتى يومنا الحاضر وكذلك الزيارات العلمية بين العلماء، وتبادل الكتب والإنتاج العلمى. وفي الفترة المعاصرة مع التطور العلمى الكبير في وسائل الاتصال الحديثة (الفضائيات، الإذاعات، المجلات والكتب، الأسابيع الثقافية، المؤتمرات والندوات، المراكز البحثية) زادت من عمق التبادل الثقافي بين دول الجزيرة.

فقد كانت الثقافة والتعليم تعم معظم مناطق الجزيرة العربية، فالحجاز كانت مركزًا لجميع مشاهر علماء العالم الإسلامي،[٢٥] وهذا ينبع من مركزية أشهر مدنها (مكة) قبلة المسلمين والمدينة المنورة عاصمة الدولة العربية الإسلامية، واليمن، عرف عن أهلها حب للعلم، واشتهار مراكزها الفكرية، إذ تعددت هجر العلم، وكثرت مواطنه العلمية،[٢٦] فقد عُدّت صنعاء من أشهر مراكز الفكر باليمن؛ لأنها كانت مهجرًا للدارسين وملتقى للعلماء والناهين من أبناء اليمن وغيرهم. وقد ظهر فيها جماعة من العلماء البارزين أشهرهم العلامّة محمد بن إسماعيل الأمير (١٠٩٩– ١١٨٢هـ/١٦٨٧ – ١٧٦٨م) ومحمد بن علي الشوكاني،[٢٧] الذي يعد أحد المجددين في العصر الحديث الذين أثروا الحياة الفكرية الإسلامية، والقا يحيى بن صالح السحولي (١١٣٤ –١٢٠٩هـ/١٧٢٠ –١٧٩٤م)، وأحمد بن علي النهمى (١١٣٠ –
١١٨٦هـ/١٧١٧ –١٧٧٢م)، وإسماعيل بن يحيى الصديق (١١٣٠هـ –
١٢٠٩هـ/١٧١٧ – ١٧٩٤م).[٢٨]

كذلك عرفت صنعاء بمساجدها الشهرة التى كانت إلى جانب كونها مكانًا للعبادة مدارس تعليمية، وبها ملاحق لسكن طلاب العلم كالجامع الكبير ومسجد الفيلحي،[٢٩] وغيرها. وكانت تلك المدارس تجمع بين المدرسة وبين المسجد في بناء واحد، ويلحق بها العديد من الغُرف، وتعرف بالمنزلة، ليسكن فيها المدرسون وبعض طلبة العلم الذين لا بيوت لهم في ذلك البلد.[٣٠] وإلى جانب مدينة صنعاء عرفت اليمن خلال هذه الفترة عددًا كبيرًا من المراكز الفكرية لعل أهمها: زبيد، وذمار، وكوكبان، وصعدة، وحجة، وشهارة، وحوث، وعدن، وتريم، وحضرموت، والمراوعة، وبيت الفقيه، والزيدية، وأبي عريش، وضمد، وصبيا، وكذلك بقية المراكز العلمية في عمان، والبحرين، والتى كان للتجارة دورًا مؤثرًا في ازدهارها. وقد كان للتجاذب السياسى الذي كان بين الدول التى حكمت اليمن ومصر والحجاز والتى ظلت تتنازع النفوذ على الحجاز خلال الفترات التاريخية المتعاقبة دورًا مؤثرًا في الحياة العلمية.[٣١]

أما في نجد، فقد كانت الحياة العلمية بدائية، وتعتمد على الجهود الفردية، نتيجة للأوضاع الجغرافية والسياسية والاقتصادية التى كانت سائدة في المنطقة، إلا أنه مع ظهور دعوة محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ — ١٧٩١م) انتعشت الحياة الفكرية، فأقبل الناس على التعليم بدوافع دينية ودنيوية أهمها التأهل للمناصب التى ظهرت مع تكوين وتوسع آل سعود في نجد
وخارجها.[٣٢]

- ١ ٢

كان للحج دورٌ كبير في تدعيم الروابط الثقافية بين أبناء الجزيرة العربية، وهو دور يعد من بين فوائد الحج الجمة إلى جانب كونه يجمع المسلمن من مختلف أنحاء العالم الذين يلتقون في مكة المكرمة في شهر ذي الحجة من كل عام، ويتبادلون الاراء، ويتناقشون في مختلف المجالات. كان موسم الحج ميدانًا صالحًا وفرصة سانحة لعرض هذه الأفكار، إلى جانب أن تنقل العلماء وطلبة العلم من مختلف بلدان العالم الإسلامي إلى الحجاز وبالعكس، أتاح الفرصة لهذه الصفوة المثقفة من نقل كل جديد؛ لذا فقد انتشرت الحلقات العلمية التى كانت تعقد في الحرمين الشريفين لتدريس العلوم الشرعية، التى تقوم على المذاهب الفقهية الأربعة.[٣٣] وكان العلماء اليمنيون وغيرهم من علماء العالم الإسلامي ينهزون فريضة الحج للإفادة العلمية والاستفادة، وإلقاءالدروس العلمية في الحرمين الشريفين خلال مواسم الحج. ولا شك أن مثل هذه اللقاءات كانت تتيح للعلماء تعرف بعضهم على بعض،لاسيما التعرف على عدد كبير من كبار الشخصيات من ذوي المكانة العلمية في بلدانهم وهو أمر يغنى الحركة العلمية والفكرية لهم.

وكان الحج أيضًا فرصة للاطلاع على الإنتاج العلمى للعلماء في الحجاز وبقية بلدان العالم الإسلامي؛ وكان يتاح لهم ارتياد مكتبات الحجاز التى كانت تحوي كتبًا عديدة ومتنوعة، وتحتوي مخطوطات نادرة حركة تعلم اللغات بحكم توافر الحجاج من مختلف أنحاء العالم الإسلامي وتعدد الألسن، فقد اقتضى هذا تعلم اللغات المختلفة مثل التركية والأوردية والفارسية، وكان عدد ممن يجيد هذه اللغات يدرس بعض الكتب بها.[٣٤]

وكما كان للحج دورًا بارزًا في نشر كثير من الأفكار والمذاهب في فترات مختلفة من التاريخ، ففي التاريخ الحديث، كان للحج أثر كبير في نشر الدعوة الوهابية، فقد كان موسم الحج ميدانًا صالحًا وفرصة سانحة لعرض مبادئ هذه الدعوة على الحجاج، واستمالتهم إلى قبولها، فقد كان الحجاج اليمنيون حين يعودون إلى اليمن يحملون معهم معلومات عن تلك الدعوة، ومما لا شك فيه؛ أن هذا قد جعل العلماء في مختلف المناطق يستعرضون مبادئ الدعوة، ويقارنونها بما لديهم من علم. وكان اهتمام الدولة العثمانية منصبًا على تشجيع الطرق الصوفية وهو الغالب على جميع أنحائها، ورغم ذلك فقد كان اهتمامها يرتكز على منصب مفتى مكة لحاجتها إلى موافقته على ما تود إعلانه للناس من إصلاحات أو تنظيمات.[٣٥]

٢ ٢ -

كانت الرحلات العلمية الخارجية تتجه في الغالب إلى الحجاز؛ لأنها كانت مركزًا يجمع مشاهير علماء العالم الإسلامي[٣٦]. وكانت تتجه إلى الأقطار المختلفة بحثًا عن العلماء ذوي الأسانيد الغالبة في الحديث، وهجرة مشايخ الصوفية لمقابلة أقرانهم ومشايخ الطرق في البلدان الأخرى.[٣٧] وبفضل هذه الرحلات، استمرت الوحدة الثقافية، بين مختلف البلدان الإسلامية رغم الاختلاف السياسى والمذهبى.[٣٨] فقد كان العلماء اليمنيون يحرصون على أداء فريضة الحج، ومن العلماء الذين أدوا هذه الفريضة خلال فترة الدراسة أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن الحسن؛[٣٩] فقد حج وأقام بمكة مدة كما ذكر عاكش "مثابرًا على الطاعة، ملحوظًا بن علمائها بالإجلال، ملقى إليه ذمام التحقيق بين أهلها، وأخذ عن جماعة من العلماء الوافدين إليها، وجرت بينه وبينهم مراجعات في عدة مسائل" .[٤٠]

ومن أشهر العلماء الذين رحلوا إلى مكّة العلامة إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الأمير.[٤١] ومن علماء اليمن الكبار الذين ترددوا على مكّة العلامة عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر الكوكباني،[٤٢] والذي رحل إلى مكة والمدينة المنورة، وهاجر بهما زمنًا طويلاً، وتردد على مكة للحج وطلب العلم مرارًا ولقي في الحرمين نحوًا من أربعين شيخًا، ومن أشهر مشايخه في مكة الشيخ محمد حياة السندي والشيخ عطاء الله بن أحمد الأزهري والشيخ أبي الحسن السندي، وقد أخذ عنهم واستجاز في جميع العلوم.[٤٣] وكان العلاّمة عبد الرحمن بن سليمان الأهدل[٤٤] من العلماء الذين رحلوا إلى مكة وأخذوا إجازات من العلماء الموجودين في مكة والمدينة المنورة، ومنهم الشيخ محمد بن صالح الريس، والشيخ محمد مرداد،[٤٥] والشيخ حسن عبد الشكور.[٤٦] وكان أيضًا ممن تواصلوا مع العلماء في الحجاز العلاّمة عبد الله بن أحمد بن إسحاق.[٤٧] وكما كانت الحجاز قبلة للعلماء بحكم وقوع الحرمين الشريفين فيه، فإن اليمن أيضًا كان مركز جذب للعلماء، لوجود الكثير من المراكز العلمية، ومن العلماء الذين أتوا إلى اليمن الشيخ محمد عابد بن أحمد بن علي بن محمد مراد السندي، ثم الأنصاري[٤٨] الذي أتى إلى اليمن بدعوة من الإمام المنصور علي، وظل فيها أيام ابنه الإمام المتوكل أحمد وما بعده. وفي عهد المهدي عبد الله أرسله إلى محمد علي باشا في مصر ومعه هدية عبارة عن فيل، وقد أجاز المؤرخ المشهور الحسن بن أحمد عاكش في الحديث.[٤٩] ومن العلماء الذين أتوا إلى اليمن الشيخ عبد القادر بن خليل كرك[٥٠] خطيب المدينة الذي أتى إلى زبيد سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م، ومن العلماء الاخرين عبد الصمد بن عبد الرحمن الجاوي،[٥١] وهو من العلماء الذين وفدوا إلى زبيد سنة ١٢٠٦هـ/١٧٩٠م وأخذ عنه علماؤها. ومن العلماء الذين وفدوا إلى اليمن الشيخ عباس الموسوي،[٥٢] ومن العلماء والأدباء الذين أتوا إلى اليمن الشيخ محمد خليل سمرجي المكي،[٥٣] وكان له مناظرات أدبية مع كثير من أدباء اليمن.[٥٤]

أما منطقة نجد، فلم نجد فيما بين أيدينا من مصادر، ما يفيد برحلات العلماء منها إلى اليمن أو من اليمن إليها سوى عدد قليل منهم الشيخ مربد بن أحمد التميمى، وكان من العلماء النجديين الذين عارضوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان معرفته بمدى الازدهار العلمى في اليمن ووجود العلماء، دافعًا له للمجيء إلى اليمن، ليستعين بهم في مواجهة الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ فقد طلب تحقيق مسألة في العقيدة حول تكفير محمد بن عبد الوهاب من دعا الأولياء، والشيخ مربد يرى أن دعاء الأولياء شرك، ولا يكون الداعي مشركًا بل هو مخطئ.[٥٥]

ومن العلماء الذين أتوا أيضًا وكانوا معارضين للدعوة الوهابية، الشيخ عبد الرحمن النجدي الذي وصف من أحوال محمد بن عبد الوهاب أمورًا أنكرها العلاّمة محمد بن إسماعيل الأمير، منها "سفكه للدماء، ونهبه للأموال، وتجاريه على قتل النفس ولو بالاغتيال، وتكفيره الأمة المحمدية في جميع الأقطار".[٥٦]

وهناك علماء آخرون وصلوا إلى اليمن من نجد، كانوا ضمن الوفد السعودي الذي أرسله سعود إلى الإمام المنصور علي سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م وهم عبد العزيز بن أحمد بن إبراهيم،[٥٧] وعبد الله بن المبارك الأحسائي،[٥٨] وكان معهم ابن هويشل،[٥٩] وابن سعدون؛[٦٠]حيث دارت بينهم وبين علماء اليمن حوارات في مسائل كثيرة حول جوهر الدعوة الوهابية وقضايا أخرى.

٣ ٢ -

الجامعات قلعة من قلاع الثقافة في كل بلد. ولا يمكن في أي نشاط ثقافي تجاهل الجامعات الفاعل والأساس فيها. وفي دول الجزيرة العربية عشرات الجامعات التى يمكن لها أن تقوم بدور أساس في تعزيز العلاقات الثقافية. وهذا المجال يحتاج إلى مشروع اتفاقية بين الجهات المسئولة عن التعليم في البلدين لوضع الأطر المنظمة للتعاون الثقافي بين الجامعات. من أبرز مجالات التعاون الثقافي بين الجامعات تبادل زيارات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات، وتقديم منح دراسية مجانية للطلاب، ومشروعات الترجمة المشتركة، والاهتمام، وتوجيه بعض تخصصات الدراسات العليا للآداب والعلوم الخاصة إلى القضايا والإشكاليات الثقافية والعلمية والاجتماعية التى تطرحها الظروف الراهنة وتفرضها المستجدات المعاصرة وبما يخدم العلاقات وتعزيز الترابط والتلاحم بين أبناء لجزيرة العربية، وغير ذلك.

٢ ٤ -

لقد أصبح القنوات الفضائية وسيلة مهمة من وسائل الثقافة؛ إذ إن المشاهد العربي تتوفر أمامه عدد من القنوات باللغة العربية من عدة دول غير عربية، يهدف إلى التعريف بثقافات بلدانها. فعلى سبيل المثال نجد كلاً من ألمانيا، وفرنسا، وبريطانيا، والولايات المتحدة، لديها قنوات عربية موجهة للمشاهد العربي. ودول الجزيرة العربية أنشأت عددًا كبيرًا من القنوات الفضائية لتنقل الثقافة العربية. وتعمل على تعزيز الروابط الثقافية بين أبناء الجزيرة وأكدت متانة الروابط بينهم من خلال الكوادر التى تعمل في هذه القنوات من جميع الدول العربية، إن مثل هذا القنوات ستسهم بفعالية في زيادة التقارب بين أبناء الجزيرة على المستوى الثقافي والشعبي والسياسى، لاسيما إذا كان ذلك وفق سياسة مخطط لها مسبقًا.

٢ ٥ -

زاد الاهتمام في الاونة الأخيرة بالمراكز البحثية والمعاهد الفكرية؛ حيث يسعى كل مجتمع حضاري إلى تأسيس الأطر والأوعية، التى تحفظ منجزاته في شتى فنون المعرفة، وإيجاد المؤسسات التى تدفع إلى تحسين مستوى اتخاذ القرارات، ولذا فلا نبعد إذا قلنا: إن تلك المراكز البحثية في بمثابة المرآة الحقيقة التى تعكس اهتمام الأمم والشعوب بالعلم والمعرفة واستشراف آفاق المستقبل. ونظرًا لأن مراكز البحوث والدراسات أصبح لها دور ريادي في توجيه عالم اليوم، كونها أداة فاعلة لإنتاج العديد من المشاريع الاسراتيجية، وخلايا تفكير عملية تعمل لإنضاج المشاريع العلمية، وبلورة الإشكالات القائمة، ودراستها وفق تكامل علمى ومعرفي انسجامي.

مما يجعلها من الضرورات المجتمعية الملحة في الوقت الراهن. وانطلاقًا من هذه الأهمية للمراكز البحثية والمعاهد الفكرية،واستشعارًا بدورها المؤثر في البنية السياسية والثقافية والاجتماعية، فقد عرفت اليمن ودول الخليج في السنين الأخيرة تأسيس مراكز بحوث ومعاهد علمية متعددة؛ موزعة على بعض الجامعات، وغيرها من المؤسسات؛ وتتخصص في مختلف الميادين، الاقتصادية، والاجتماعية، والتربوية، والطبية والتكنولوجية. تشترك كلها في إنتاج الأفكار، وصنعها، وتسهم في إعادة توظيف واستخدام ما هو متاح من المعلومات لخدمة هذه المؤسسات ورسم طريقها المستقلبي، وهذه المراكز تعمل على إصدار مجلات علمية مُحكمة متخصصة بدراسات الجزيرة العربية والخليج، وحفظ تراث الجزيرة العربية والخليج.

٢ ٦ -

تشكل الندوات والمؤتمرات المختلفة إطارًا حيويًا واسعًا يشارك فيه المتخصصون في مناقشة القضايا الجديدة التى تهمهم جميعًا.

وذلك بهدف الإسهام بأفكارهم وآرائهم ومقترحاتهم تجاه هذه القضايا، كي تستفيد منها الجهات المختصة عند اتخاذ القرارات المتعلقة بالتطبيق والتجديد في الميدان. وقد شهدت دول الجزيرة العربية عقد العديد من الندوات والمؤتمرات يشرك فيها المتخصصون من داخل الجزيرة وخارجه، نوقش فيها قضايا متعددة، وتم توثيقها في أوراق مرجعية واتخذت بشأنها التوصيات المناسبة، بغرض السعي لمواكبة التطورات والمستجدات في العالم، من خلال تفاعل خلاق بين محاضرين ومناقشين على اطلاع وخبرة على مستوى العالم العربي والعالم من جهة، وبين العاملين في تلك الحقول في الجزيرة العربية من جهة ثانية.

٢ ٧ -

خلال السنوات الأخيرة تم تنظيم الكثير من الأسابيع الثقافية بين اليمن ودول الخليج ، بل أصبحت تنظم بشكل دوري، وتعد الأسابيع الثقافية نافذة لاطلاع أشقائهم بالثقافة والتراث للبلد الاخر الذي ينبع من إرث عربي أصيل، بل وتعزز أهمية التواصل الثقافي بين الشعوب العربية ونقل سجاياها إلى نطاق عالم أوسع.

خاتمة

وخلاصة القول؛ إن العلاقات الثقافية بين اليمن والخليج ينتظرها مستقبل واعد مشرق إذا تهيأ لها ما يفعِّلها ويستثمر إمكاناتها لصالح هذا الكليات في مختلف الصعد، ما ينعكس في تنميته على مستوى الفرد والجماعة؛ وإن كان ثمة من عقبات تعرض هذه الغاية، فلقد آن الأوان لتجاوز السلبيات التى تظهر من حين إلى لآخر والانشغال بالتركيز على القواسم المشتركة وعناصر التقارب والهموم المشتركة أكثر بكثير من عوامل الفرقة والقطيعة، والاستفادة ثورة المعلومات وسهولة الحصول على المعرفة من خلال شبكة الإنرنت والقنوات الفضائية التى أدت إلى ارتفاع معدلات الثقافة العامة والخاصة.

الهوامش

* قد هذا البحث " العلاقات الثقافية بين اليمن والخليج في العصر الحديث" إلى مؤتمر " العمالة اليمنية ومتطلبات سو ق العمل الخليجي: الفرص والتحديات" الذي نظمه على مدى يومين مركز سبأ للدراسات الإسراتيجية في صنعاء ٢٢ – ٢٣ فبراير٢٠١٠.

(1)Pliny, **Natural History**, bk. Vi, ch.21 and bk vii,ch32,1969.

(٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ط٢، ١٩٧٦، جـ١، ص١٤١-١٤٣.

(٣) بافقيه، محمد عبد القادر، تاريخ العربية السعيدة صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمنى، ط١، جـ٢ ص٢١١.

(٤) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب. تحقيق محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني– صنعاء – اليمن. ط: الثالثة. ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م، ص ٨٤ – ٨٥.

(٥) علي، جواد، المرجع السابق، جـ٢، ص٣٧٠.